رِسَالـةُ الضَّادِ للعلامة المتولّي (ت ١٣١٣ هـ)
- تحقيق ودراسة -

د. حسين نوري محمود د. صلاح ساير فرحان
كلية التربية ـ جامعة تكريت

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعدُ:

فإنَّ النطق بالضاد قد أشغل علماء اللغة والتجويد قديماً وحديثاً، إذ قَلَّ أن نجدَ مؤلفاً في اللغة أو التجويد لم يتطرق إليها أو يذكرها، وذلك بسبب صعوبةِ النطقِ بهذا الحرف، وخطأ الكثيرين في إخراجه من مخرج التاء أو الدال أو الطاء أو الظاء، ولا شكَّ في أنَّ إخراجَ أي حرفٍ من غير مخرجه الصحيحِ يُعَدُّ لحناً يجبُ على الفصيحِ وقارئ القرآنِ الكريمِ أن يتجنبه، وهذا من صلب عمل أهل اللغة وتوضيح هذا الأمر من اهتماماتهم الأولى.

ولأهميةِ هذا الموضوع فقد كتب فيه العلماء قديماً وحديثاً، ما بين رسائل منثورة أو قصائد منظومة، أوفي أعمال مستقلةٍ أو ضمن مؤلفاتهم في اللغة والتجويد.

ومن هؤلاء العلماء الإمامُ المحقق الشيخ محمد المتولي الضرير (ت ١٣١٣ هـ)، مقرئ الديار المصرية وشيخ مقارئها في زمانه، رحمه الله تعالى، إذ جمع وهذب ما كتبه الإمام المحقق ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) رحمه الله تعالى، عن حرف الضاد في كتابه القيم (النشر في القراءات العشر)، فجاء بخلاصةِ كلامِ العلماء في هذا الموضوع ودوَّن ذلك بمنظومةٍ علميةٍ قيمةٍ نافعةٍ سماها: (رسالة الضَّادِ)[1] قدَّم لها بكلام للمحقق العلامة ابن الجزري، رحمه الله تعالى، ولكنَّ هذه الرسالة ظلَّ تداولها محدوداً، بل محصوراً بين القليل من طلبة علم القراءات والتجويد.

وقد أردنا أن نحققها بعملٍ علمي أكاديمي يُعنى بتخريجها وخدمتها وإخراجها بالشكل الذي يتناسب مع مكانة جامعها ومؤلفها الإمام المتولي، رحمه الله تعالى. وقد يسر الله تعالى هذا الأمر وها هي رسالة الإمام المتولي، رحمه الله، تأخذُ طريقها إلى النشر، وتكون في متناول الباحثين والدارسين، والحمدُ لله رب العالمين.

وقد اتبعنا في دراسة هذه الرسالة وتحقيقها الخطة الآتية:

القسم الأول: الدراسة، وتتضمن تمهيداً وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الإمام محمد المتولي، رحمه الله تعالى، موجز يسير عن حياته وسيرته.

المبحث الثاني: الضاد والظاء بين العلماء القدامى والمحدثين .

المبحث الثالث: القيمة العلمية لرسالة المتولي .

المبحث الرابع: توثيق نسبة المخطوط، ووصف النسخة المعتمدة في التحقيق، ومنهج التحقيق.

القسم الثاني: النص المحقق.

ونسأل الله سبحانه تعالى، أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القسم الأول: الدراسة
المبحث الأول

الإمام محمد المتولي، رحمه الله تعالى، موجز عن حياته وسيرته (٢).

مولده:

ولد الشيخ محمد المتولي، رحمه الله تعالى، سنة (١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م)، وقيل: بعد ذلك بسنة أو سنتين، وكانت ولادته بخُط الدرب الأحمر (٣) بالقاهرة (٤)

اسمه و نسبه وشهرته:

هو محمد بن أحمد بن الحسن بن سليمان(٥)، المشهور بالمُتولّي، أو مُتولّي (٦)، وقيل إنه اشتهر أيضا بالصَّدَفْجِي (٧)

مختصر في صفاته و أخلاقه:

كان الإمام المتولي، رحمه الله تعالى، ضريرًا، بصير القلب، وقيل كان مبصراً في صغره فلعله أضر بسبب مرض نزل به، وكان رحمه الله، قصيرًا، ناتئ الصدر، أحدب الظهر. ومن أبرز صفاته التواضع ، واتهام النفس بالعجز والتقصير، مع عدم التعالي و حب الظهور، وكان رحمه الله تعالى، ذا خلق سام وعزة محمودة، وجمَّل ذلك كلَّه بحسن الخلق والسماحة والعفو [٨].

ويُروى عن الشيخ الهُنَيدي، تلميذ الشيخ المتولي: ((أنه انقطع عن القراءة عند الشيخ المتولي فترة بسبب وفاة والده، فلما رجع سأله الشيخ المتولي عن عدم مجيئه في ما مضى، فاعتذر الهنيدي بأن لا مال يعطيه للشيخ جزاء القراءة عليه، فقال الشيخ المتولي: نحن كالملوك لا نطلب و لا نرد)) [٩].

ومن سماته الظاهرة قوة الحافظة، وسعة الإطلاع، والقدرة الفائقة على الإقراء والتأليف نثرًا ونظمًا، يلمس ذلك كل من وقف على إنتاجه الغزير في التأليف لاسيما كتابه فتح الكريم وشروحه، وقال الشيخ الهنيدي تلميذ الشيخ: إنه كان يقرأ على الشيخ المتولي في دار الكتب علم القراءات والمتولي يعد عليَّ بسبحة في يده، فإذا فرغ الهنيدي من القراءة نظم المتولي ما سمع في الحال [١٠].

وقال الشيخ الهُنَيدي: ((كان الشيخ المتولي جالسًا في الأزهر يُقْرِئ القرآن فجاءه أحد العلماء ؛ كي يُعَجِّزَه، فسأله عن عدة مسائل في العلوم الشرعية والعربية، والمتولي يسمع ما يلقي عليه من الأسئلة، فلما انتهى قال له المتولي: أجيبك نثرًا أو نظمًا ؟ فبُهِت السائل)) [١١].

والكلام يطول على ذكر مكانة الشيخ المتولي وصفاته الحميدة اكتفينا بذكر ما تقدم، رحمه الله تعالى.

شيوخه:

حَصَّل الشيخ كثيرًا من العلوم الشرعية والعربية ، و ذلك بعد أن حفظ القرآن الكريم ، ودرس على كثير من علماء الأزهر ، و لكنه أخذ القراءات عن شيخين كبيرين هما [١٢]:

الشيخ يوسف البرموني:

وهو من علماء القرن الثالث عشر للهجرة، قرأ عليه المتولي القراءات من طريقي الشاطبية والدرة من أول القرآن إلى آخر الحزب السابع من القرآن الكريم، ثم أجازه بالقراءات العشر جميعها، والشيخ البرموني زميل للشيخ الثاني للمتولي وهو الشيخ أحمد التهامي (١٣).

الشيخ أحمد الدري التهامي:

هو السيد أحمد بن محمد الدُّري (بضم الدال) الشهير بالتهامي، أزهري، مالكي المذهب، ويعد من علماء القرن الثالث عشر الهجري ، وكان حيا سنة ١٢٦٩ هـ - ١٨٥٢م ، والإمام المتولي قلّ ما يذكر شيخه الدري بلا ثناء أو ترحم، و لعل المتولي خصه بذلك دون غيره من شيوخه، لطول ملازمته له والإكثار من الأخذ عنه (١٤).

تلاميذه:

ذاع صيت الشيخ المتولي في كل مكان حتى قصده طلبة العلم لينهلوا من علمه الغزير، فتتلمذ على يده عدد كبير منهم (١٥):

حسن بن خلف الحسيني (كان حيًا في ١٣٠٣هـ - ٨٨٥م).

حسن بن محمد بُدير الجُريسي (كان حيًا في ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨م).

حسين موسى شرف الدين (ت ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م).

خليل محمد غنيم الجنايني (ت ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م).

رضوان بن محمد بن سليمان المُخللاتي (نحو سنة ١٣١١هـ -١٨٩٣م).

عبد الفتاح هُنَيْدِي (نحو سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م).

محمد بن عبد الرحمن البنا الدمياطي (ت ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م).

محمد مكي نصر الجريسي (كان حياً سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م).

وللشيخ المتولي تلاميذ آخرون زيادة على من مرَّ ذكره (١٦).

مؤلفاته:

لقد أغنى الإمام المتولي، رحمه الله تعالى، المكتبة القرآنية بالكثير من المؤلفات القيِّمة، وفيما يأتي ذكر لعددٍ منها – بين مخطوط ومحقق – وهي (١٧):

- إيضاح الدلالات في ضابط ما يجوز من القراءات و يسوغ من الروايات.
- البرهان الأصدق والصراط المحقق في منع الغنة للأزرق.
- تحقيق البيان في عد آي القرآن.
- تحقيق البيان في المختلف فيه من آي القرآن (نظم).
- التنبيهات في شرح أصول القراءات.
- تهذيب النشر وخزانة القراءات العشر.
- توضيح المقام في الوقف على الهمزة لحمزة وهشام .
- جواهر القلائد في مذاهب العشرة في ياءات الإضافة و الزوائد.
- الدر الحسان في تحرير أوجه القرآن.
- رسالة أحكام الهمزتين للقراء العشرة.
- رسالة الضاد: وهي رسالة لخصها من كتاب النشر لابن الجزري، ونظمها بعد ذلك، وهي موضوعنا هذا في الدراسة والتحقيق.
- رسالة في إدغامات الحروف الهجائية.
- رسالة في حكم الغنة في اللام والراء على وجه الإدغام الكبير (الرسالة بكاملها في الروض النضير) (١٨).
- الروض النضير في أوجه الكتاب المنير.
- سفينة النجاة فيما يتعلق بقوله تعالى (حاش لله).
- الضوابط الكبرى في تحرير القراءات.
- العجالة البديعة الغرر في أسانيد الأئمة القراء الأربعة عشر.

– الفائدة السنية والدرة البهية في تحرير وجه التقليل في الألفات التي قبل الراء للسوسي من طريق الطيبة النشرية (الرسالة بكاملها في الروض النضير) [١٩].

– فتح الرحمن في تجويد القرآن.

– فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن الحكيم.

– فتح المجيد في قراءة حمزة من القصيد.

– فتح المعطي وغنية المقري في شرح مقدمة ورش المصري.

– الفوائد المعتبرة في الأحرف الأربعة الزائدة على العشرة.

– الكوكب الدري في قراءة أبي عمرو البصري.

– مقدمة في ياءات الإضافة والزوائد.

– النبذة المهذبة فيما لحفص من طريق الطيبة .

– الواضحة في تجويد سورة الفاتحة.

زيادة على مؤلفات أخرى، ويتضح مما سبق أن الشيخ المتولي كان ذا عناية كبيرة بعلم القراءات ؛ لذلك جاءت معظم مؤلفاته في هذا الباب، وهو صاحب باع طويل في هذا العلم الجليل، فألَّف فيه وأجاد، رحمه الله تعالى لما بذل من جهد طيب في خدمة الكتاب العزيز.

وفاته:

توفي الإمام المتولي، رحمه الله تعالى، يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الأول سنة: (١٣١٣هـ – ١٨٩٥م) عن خمس و ستين سنة، ومدفنه بالقرافة الكبرى في القاهرة [٢٠]. عليه من الله تبارك وتعالى الرحمة والرضوان.

المبحث الثاني
الضاد والظاء بين العلماء القدامى والمحدثين

الكلام على هذه المسألة يطول فقد قيل فيها الكثير، لكننا سنختصر ونوجز كي نعطي فكرة يسيرة حول هذا الموضوع، فقد قدّم علمائنا . جزاهم الله خيرا . قديما وحديثا آراءهم في هذا الأمر، وليس الموضع هنا موضع إطالة، ولكنه من المهم أن نعطي فكرة موجزة للقارئ حتى يكون على بينة من الموضوع، فمن المعلوم أنَّ: ((الفرق بين الضاد والظاء من المسائل التي شغلت القدماء بسبب صعوبة النطق بهما على من دخل في الإسلام من الأمم المختلفة، بل وعلى قسم من القبائل العربية كذلك)) (٢١).

ويروى من كلام المتقدمين قول: ((الصاحب بن عباد، وهو من أوائل المؤلفين في هذا الباب: إذ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكتاب، لتقارب أجناسهما في المسامع، وأشكال أصل تأسيس كل واحد منهما، والتباس حقيقة كتابتهما)) (٢٢).

والضاد في التراث الصوتي العربي حرف مجهور، وهو أحد الحروف المستعلية، وهو للعرب خاصة، ولا يوجد في كلام العجم إلا في القليل (٢٣). و: ((أما الظاء فهو حرف مجهور، وهو عربي خص به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم)) (٢٤).

وعلى الرغم من ذلك فإن علماء العربية والتجويد قد اتفقوا على أن وصف نطق مجيدي تلاوة القرآن الكريم اليوم لحرف الضاد لا ينطق مع وصف العلماء الأوائل، ومن هنا قالوا بأن تغيراً ما قد حدث لهذا الحرف (٢٥). وسنعرض الآن كلام العلماء القدامى والمحدثين عن الضاد والظاء بإيجاز.

الضاد عند العلماء القدامى:

تكلم سيبويه على مخرج الضاد بقوله: ((من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد)) (٢٦)، ويريد سيبويه بأول حافة اللسان حافته من جهة أقصى اللسان لا من جهة طرفه (٢٧). ووقف سيبويه في كتابه في أكثر من موضع عند الضاد وصفاتها وذكر من هذه الصفات: الجهر، والرخاوة، والإطباق وغيرها (٢٨).

واتجه علماء العربية والتجويد القدامى بعد سيبويه اتجاهين في اهتمامهم بحرفي الضاد والظاء تتمثل في جمع الألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء في رسائل تشبه المعجمات الصغيرة، يسهل الرجوع إليها ومعرفة ما يكتب من تلك الألفاظ بالضاد أو بالظاء . ودراسة الخصائص النطقية لصوت الضاد، والانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين، والأصوات التي يقترب منها أو يختلط بها (٢٩).

وقد استخلص الدكتور غانم قدوري . بعد أن عرض دراسة قيِّمة حول الموضوع . الحقائق الآتية في كيفية نطق الضاد (٣٠) :

. صعوبة نطق الضاد التي وصفها سيبويه.

. انحراف ألسنة الناطقين عن نطق الضاد القديمة إلى نطق أصوات أخرى مكانها.

. لم يتحول صوت الضاد على ألسنة الناطقين بالعربية في العصور المتلاحقة إلى صوت معين واحد، وإنما ظهر في أصوات متعددة، منها: الظاء، واللام المفخمة، ومزجها بالذال أو الزاي، ومزجها بالدال والطاء (الضاد الطائية).

.كان علماء التجويد المتأخرون أشد إنكاراً (للضاد الطائية) مكان الضاد القديمة، من إنكارهم الأصوات الأخرى البديلة عن الضاد.

. إن اعتبار (الضاد الطائية) في زماننا هي الضاد التي يجب أن ينطقها قراء القرآن يثير مفارقة كبيرة بين موقف علماء القراءة في زماننا وموقفهم قبل قرنين أو ثلاثة، من هذه المسألة .

الضاد عند العلماء المحدثين:

يلاحظ على موقف العلماء المحدثين من الضاد ما يأتي:

لقد التزم علماء التجويد المحدثون بوصف الضاد ومخرجها عند القدامى ونقلوه عنهم، ولكن هذا الوصف لم يعد يناسب الضاد في النطق المعاصر. ولم يحافظ المحدثون على نصوص القدامى، بل تصرفوا بها وغيروها، فجاءت دلالات عدد من هذه النصوص محرفة ومضطربة ومتباينة، ومواقف المحدثين تحتاج إلى إعادة نظر ودراسة جادة تعتمد على الدقة والموضوعية (٣١).

ويذهب الدكتور حسام سعيد النعيمي إلى أن الضاد المعاصرة تختلف في النطق بشكل كامل عن الضاد القديمة، فقد قال في كتابه الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ((أما الضاد فليس في العرب اليوم من ينطق بها كما كان العرب يفعلون وكما وصفت لنا في كتبهم)) (٣٢) . ويذهب الدكتور حاتم صاح الضامن في مقدمة تحقيقه لكتاب الاعتماد في نظائر الظاء والضاد إلى القول أن: ((الضاد العربية الفصحى لم تعد تنطق في تمام فصاحتها عند أي من العرب في وقتنا هذا)) (٣٣).

ويلخص الدكتور غانم قدوري الحمد، مخرج وصفات الضاد المعاصرة بقوله: ((فالضاد اليوم صوت لثوي، شديد (انفجاري)، مجهور، مطبق...)) (٣٤). وذكر جدولاً يبين الفرق بين القدامى والمحدثين في نطق الضاد والظاء والدال، ليتضح الفرق في نطقها (٣٥) ، وأضاف الدكتور غانم قدوري تعليقا على الجدول الذي ذكره: ((إن الظاء تشارك الضاد القديمة في أكثر صفاتها، ولعل هذا يفسر تحولها إلى ظاء على ألسنة كثير من الناطقين قديماً وحديثاً، أما الضاد الحديثة فإنها نظير صوت الدال، وتشاركه في المخرج والصفات ما عدا صفة الإطباق، فالضاد الحديثة صوت مطبق، والدال صوت منفتح، والضاد الحديثة بهذا الشكل تشارك كلاً من التاء والطاء والدال في المخرج، كما تشاركها في عدد الصفات)) (٣٦).

وبعد فقد كانت تلك نظرة سريعة موجزة إلى أهم صفات الضاد والنطق بها، والمقام لا يتسع لذكر كثير من التفصيلات، وقد أدلى كثير من علمائنا الأفاضل دلوه في هذا الباب فجزاهم الله خيرا، وقد ألف عدد من علماء العربية والتجويد رسائل تتعلق بالضاد والظاء لا تتسع هذه العجالة للإحاطة بها (٣٧).

وهنا نرى أنه من الواجب أن نذكر أن الدكتور حاتم صالح الضامن قد ذكر أكثر من أربعين كتاباً للعلماء في الضاد والظاء، وذلك في كلامه على تراث العرب في الضاد والظاء في مقدمة تحقيقه كتاب الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك، وقد نشره في مجلة المجمع العلمي العراقي (٣٨).

المبحث الثالث

القيمة العلمية لرسالة المتولي

تُعَدُّ رسالة الإمام المتولي في الضاد والظاء امتداداً لجهود العلماء السابقين في توضيح ووصف مخرج الضاد والظاء، فهي تمثل مساهمة علمية جادة في ميدان علم التجويد بصورة عامة، وفي موضوع ضبط النطق بالضاد والظاء بصورة خاصة.

وتتضح القيمة العلمية لرسالة المتولي في الأمور الآتية:

(١) لم يكتف الإمام المتولي بنقل ما ذكره الإمام المحقق ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر فقط، بل عمد إلى جمع كلام ابن الجزري في مسألة الضاد من حيث المخرج والصفات والحروف الأخرى التي تشاركه في الصفات ووضحها أفضل توضيح [٣٩]، وذلك من خلال منظومته المكونة من ستة عشر بيتاً، والتي عالج فيها قضية الضاد عند القراء والمجودين.

(٢) وازن الإمام المتولي، رحمه الله تعالى، بين الآراء والأقوال التي ذكرها ابن الجزري، رحمه الله تعالى، ورجح بنظره الدقيق وعلميته الفذة أن الوصف الذي يناسب نطق القراء المصريين بالضاد هو وصف الخليل، رحمه الله تعالى. [٤٠]

(٣) وضح الإمام المتولي رحمه الله، طريقة القراء المصريين من شيوخه والمعاصرين له في طريقة نطق الضاد بأنها طريقة الخليل [٤١]، وهو الأمر الذي ذكره أستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد، عند كلامه على نطق الضاد عند قراء القرآن الكريم المعاصرين، وذكر أن ابن غانم المقدسي سماها: (الضاد الطائية) [٤٢].

(٤) لم يكتف الإمام المتولي بسرد كلام ابن الجزري فحسب، بل عمد إلى نظم منظومة قيمة بين فيها مخرج الضاد وصفاته وطريقة نطقه، على النحو الآتي:

(١) مخرج الضاد من وسط اللسان، عند مشتجر الفم، فهو بهذا حرف شجري مثل الجيم. ومخرجه من الجهة اليسرى من الفم، ويمكن إخراجه من الجهة اليمنى أو من وسط الفم، والمتولي بهذا يؤيد مذهب الخليل، رحمه الله تعالى. وهذا مضمون الأبيات الثلاثة الأولى من المنظومة [٤٣].

(٢) وعلى الوصف المتقدم من مخرج الضاد عمل علماء القراءة في مصر. وهو ما تضمنه البيت الرابع من المنظومة [٤٤].

(٣) ثم ذكر صفات الضاد، وهي: الإطباق والرخاوة والجهر والاستعلاء والاستطالة، وهو مضمون البيت الخامس من المنظومة [٤٥].

(٤) وذكر في البيت السادس مخرج الظاء، وأنه من طرف اللسان مع الثنايا العليا [٤٦].

(٥) وذكر في البيت السابع أن الضاد يتميز عن الظاء بالمخرج وصفة الاستطالة فقط، أما بقية صفات الضاد فيشاركه فيها الظاء [٤٧].

(٦) ثم تكلم في أبيات المنظومة الباقية على عدد من الأمور التي تتعلق بالضاد والظاء، منها ترجيح رأي ابن الجزري، رحمه الله تعالى، على رأي شارح المقدمة الجزرية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري [٤٨] على النحو الذي ستراه في النص المحقق، إن شاء الله تعالى.

وبهذا تتضح القيمة العلمية لرسالة الإمام المتولي، رحمه الله تعالى، خاصة إذا علمنا أن عمل أهل الأداء منذ زمن المتولي إلى اليوم على هذا الأساس.

المبحث الرابع: توثيق نسبة المخطوط، ووصف النسخة المعتمدة في التحقيق، ومنهج التحقيق .

أولاً: اسم المخطوط وتوثيق نسبته إلى المتولي:

اسم المخطوط:

جاء اسم رسالة المتولي في الضاد مختلفاً عمَّا أثبته الناسخ على ورقة العنوان، فالاسم الذي أثبته الناسخ على ورقة العنوان هو: (ذكر أمور تتعلق بالضاد والظاء)، ولكن هذا الاسم لم نجده في أي مصدر من المصادر التي ترجمت للعلامة المتولي وذكرت مؤلفاته، فلعله من وضع الناسخ، لهذا لم نعتمده في التحقيق بل اعتمدنا اسم: (رسالة الضاد)، عنواناً ثابتاً لهذه المخطوطة، اتفاقاً مع معظم الذين ترجموا للإمام المتولي وذكروا مؤلفاته.

والمخطوطة، موضوع التحقيق والدراسة، ذكرها الزركلي في الأعلام مع مؤلفات المتولي باسم: رسالة في: (الضاد والظاء)، وذكر بأنها ما تزال مخطوطة [٤٩].

وذكرها أيضاً الدكتور إبراهيم الدوسري في كتابه: (الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات) ضمن مؤلفات المتولي باسم: (رسالة الضاد) وذكر بأن الرسالة أُلِّفت لأجل قضية الضاد، وإنما تطرق الشيخ المتولي لذكر الظاء تتميماً للفائدة ولتقاربهما في بعض الأمور، فلذلك اختار الدكتور الدوسري هذا الاسم للرسالة، وذكر أنها عنونت بـ (رسالة الضاد) في الورقة الأولى من المخطوطة التي في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وذكر أن الشيخ المتولي جمع في هذه الرسالة من النشر كل ما يتعلق بحرفي الضاد والظاء من المخارج والصفات من مواضع متعددة، وأن المتولي ألحق هذا الكلام بنظم لخصه في ستة عشر بيتاً، وذكر – الدوسري – أنها ما تزال مخطوطة، وذكر منها أربعة أبيات [٥٠].

وذكرها كذلك الأستاذ خالد حسن أبو الجود في مقدمة تحقيقه كتاب الروض النضير ضمن مؤلفات المتولي باسم: (رسالة الضاد) أيضاً، وذكر أنها ما تزال مخطوطة [٥١].

وعليه فقد رأينا من الصواب أن يكون العنوان الصحيح للمخطوطة هو (رسالة الضاد)

.

توثيق نسبة المخطوطة إلى الإمام المتولي:

اتبعنا في توثيق نسبة هذه الرسالة إلى الإمام المتولي طريقين:

الأولى: من خارج النص المحقق: فقد ذكر كل من ترجم للإمام المتولي، رحمه الله تعالى، أن له رسالة في الضاد، وذكروا أنها منظومة، كما تقدم في الفقرة السابقة. والحق أنه قدم لمنظومته في الضاد بمقدمة مهمة من كلام المحقق ابن الجزري، كما سترى، إن شاء الله تعالى.

الثانية: من داخل النص المحقق نفسه: إذ جاء في أول هذه الرسالة ما نصه: (... قال الشيخ محمد المتولي الشافعي، رحمة الله تعالى عليه،...) [٥٢].

وقال رحمه الله تعالى، مصرحاً بأنه قد جمع مقدمة في الضاد وصفاته من كلام ابن الجزري، وذاكراً منظومته: (يقول جامعه: والأوفقُ مما تقدم من كلامه في مخرج الضاد للغة أهل مصرَ هو قول الخليل، وفي ذلك قلتُ:...) [٥٣]. وبذلك ثبت عندنا، بما لا يقبل الشك، أن هذه المخطوطة التي بين أيدينا هي للإمام المتولي نفسه.

ثانياً: وصف النسخة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق رسالة المتولي في الضاد على نسخة واحدة، وجهدنا في البحث عن نسخة أخرى لها فلم نفلح في ذلك، وهذه النسخة التي حصلنا عليها هي نسخة المكتبة الأزهرية. وتقع ضمن مجموع يتكون من (٢٧ ورقة) وعليه عنوان: (مقدمة في ذكر فوائد لابد من معرفتها للقارئ ملخصاً من النشر للحافظ أبي الخير محمد بن الجزري، تأليف: الشيخ محمد المتولي شيخ قراء الديار المصرية) [٥٤]، برقم: (٣٧٧٢٩ قراءات)، والرسالة هذه (موضوع التحقيق) تقع في ورقتين، وتبدأ من الورقة رقم (٢٧ و) إلى الورقة رقم (٢٨ ظ)، وعلى الورقة الأولى منها عنوان: (ذكر أمور تتعلق بالضاد والظاء)، كما تقدم.

وقد كُتبت بخط النسخ، والخط واضح ومقروء، وكتبت العناوين باللون الأحمر. ومعدل عدد الأسطر في الصفحة الواحدة: (٢١) سطراً، ولم يذكر الناسخ اسمه، ولا سنة النسخ، ولا مكانه. ولكن جاء على ورقة عنوان المجموع ختم لواقف هذا المجموع، ونصه: (وقف هذا لله تعالى علي أبو ليلى على أهل الأزهر لرواق الشرقاوي ١٣٣٠ هـ) [٥٥].

ثالثاً: منهج التحقيق:

(١) قمنا بإعادة نسخ المخطوطة وفق قواعد الإملاء العربي الحديث.

(٢) عمدنا إلى كتابة النصوص القرآنية برسم المصحف العثماني، على رواية حفص عن عاصم.

(٣) خرجنا الآيات القرآنية في المتن ولم نضع التخريج في الهامش.

(٤) خرجنا الأحاديث النبوية الشريفة المذكورة في المتن.

(٥) ترجمنا للأعلام الذين وردت أسماؤهم في المخطوطة.

(٦) أحلنا الأقوال إلى مصادرها الأصلية، ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

(٧) كتبنا ما يحتاج إليه المتن من تعليقات وإيضاحات خدمة للقارئ، ووضعناه في الهوامش المعنية.

(٨) قدمنا للتحقيق بدراسة موجزة عن العلامة المتولي وحياته وسيرته، وعن قضية الضاد عند العلماء العرب القدامى والمحدثين، ثم عن القيمة العلمية لرسالته في الضاد.

نتائج الدراسة والتحقيق:

– الإمام العلامة المتولي من العلماء البارزين جداً في مصر العالم الإسلامي في مجال الدراسات القرآنية عامة، والقراءات القرآنية خاصة. ومؤلفاته التي زادت على أربعين مؤلَفًا بين منظوم ومنثور، وكتاب ورسالة تشهد له بذلك. وعلى مؤلفاته هذه اعتماد وعمل علماء القراءات منذ عصره إلى يومهم هذا.

– قضية الضاد من القضايا الصوتية والتجويدية المهمة، وقد شغلت تفكير العلماء في وقت مبكر، فألف فيها العلماء قديماً وحديثاً الكثير من المؤلفات المنظومة والمنثورة، والإمام المتولي، بوصفه عالماً مبرِّزاً من علماء التجويد والقراءات، أدلى بدلوه في هذه القضية.

– الضاد في وصف العلماء القدامى يختلف عن وصف العلماء المحدثين، وبسبب هذا الاختلاف حصل تغيير في نطقها ومراعاة صفاتها التي ذكرها العلماء القدامى، خاصة في صفة الاستطالة.

– رجح العلامة المتولي أن نطق القراء المصريين يوافق وصف الخليل رحمه الله، للضاد، ولكن بعض الباحثين المعاصرين لا يسلم له بذلك. ويظل الالتزام بضبط صفات الضاد بشكل جيد من أهم الأمور للحصول على النطق الصحيح لهذا الحرف وهذا من الضرورات التي يجب أن يقف عندها القراء المجيدين وأهل اللغة لتوضيح هذه الصورة بشكلها الأصح للمتلقين من بعدهم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

نماذج مصورة من المخطوطة

ورقة عنوان المجموع الذي في آخره تقع الرسالة

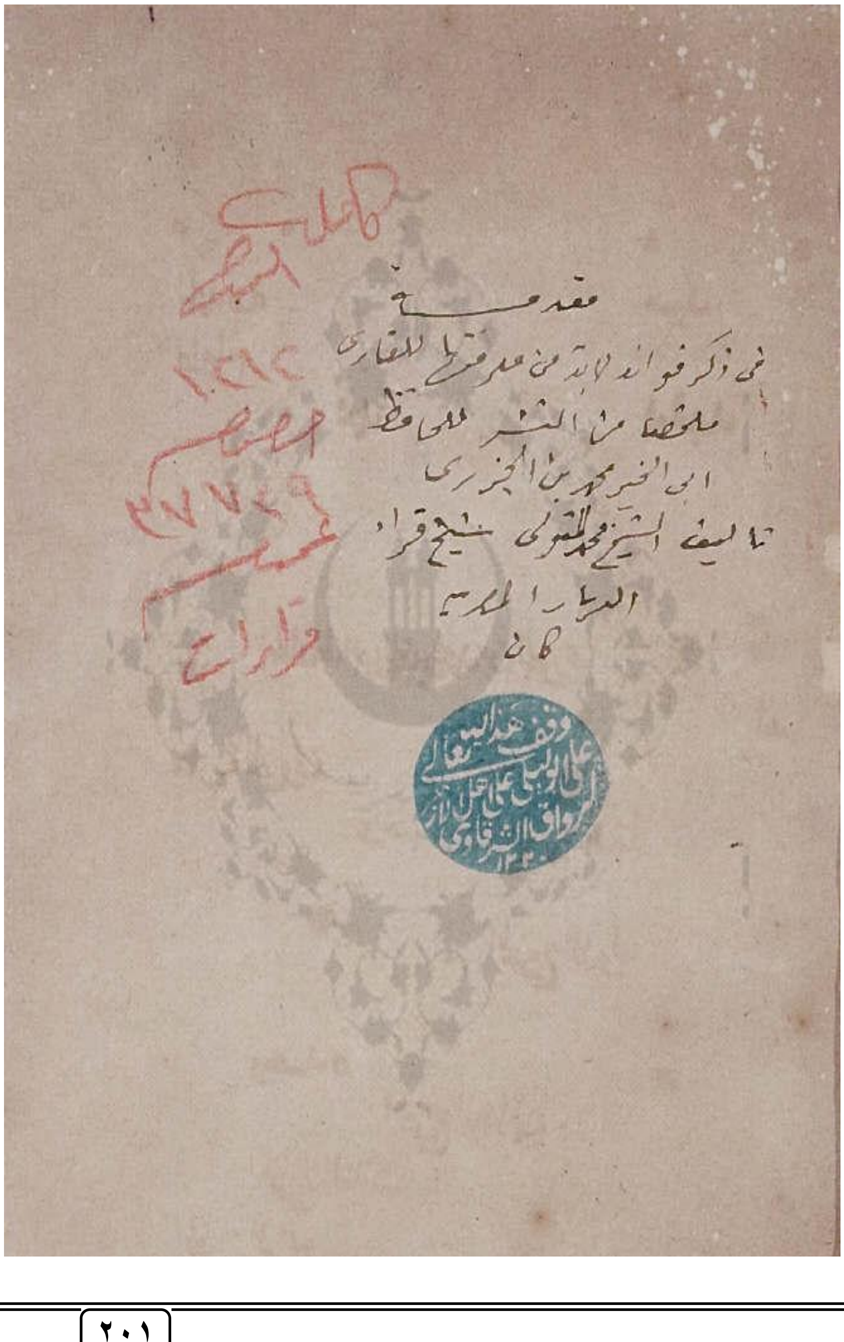

الورقة الأولى من المخطوط

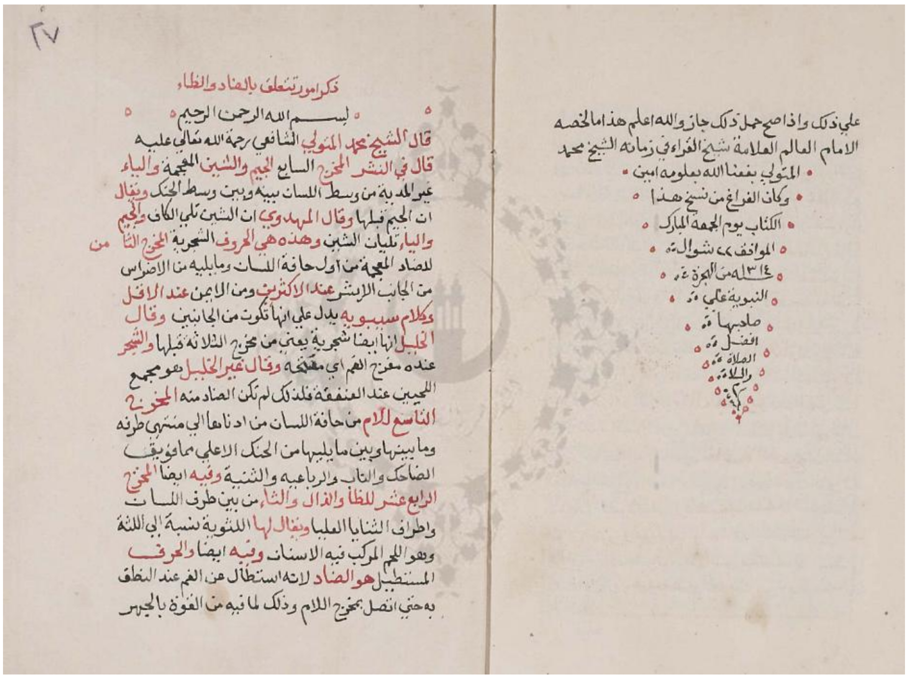

الورقة الأخيرة من المخطوط

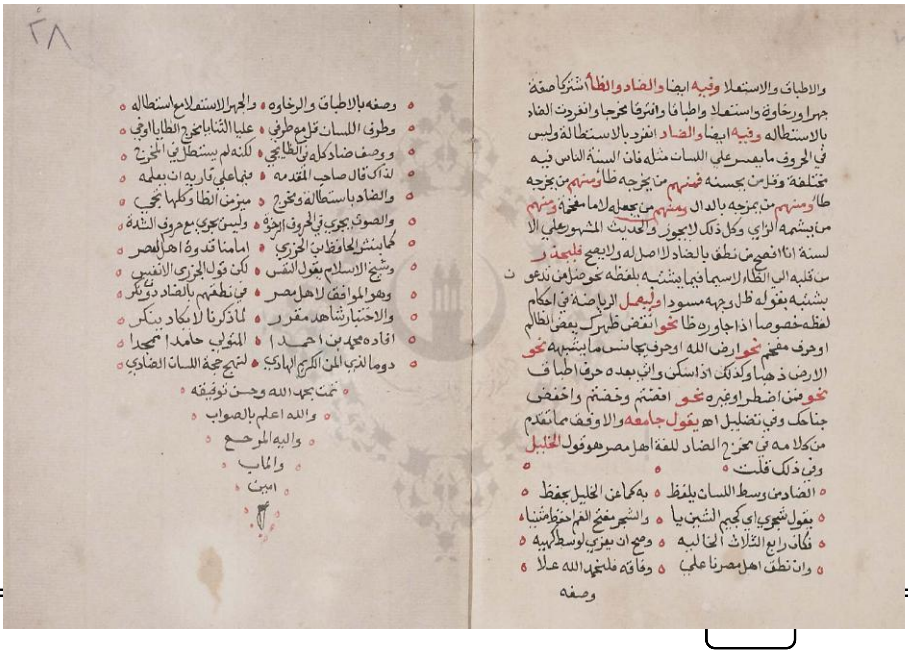

النَّصُ المُحَقَّقُ:
[٢٧ / ظ]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قالَ الشَّيخُ مُحَمَّدٌ المُتَوَلِّي الشَّافِعِي، رَحْمَةُ اللهِ تعالى عليهِ:
قالَ في النَّشْرِ [٥٦]: المَخرجُ السَّابعُ: الجيمُ والشِّينُ المُعْجَمَةُ والياءُ غيرُ المديَّةِ من وَسطِ اللسانِ بينه وبينَ وسطِ الحَنَكِ. ويُقالُ: إنَّ الجيمَ قبلهما [٥٧]. وقالَ المَهْدَويُّ (ت ٤٤٠ هـ) [٥٨]: إنَّ الشِّينَ تَلِي الكافَ، والجيمَ والياءَ تليانِ [٥٩] الشِّينَ. وهذهِ هي الحروفُ الشَّجْرِيَّةُ [٦٠].

المخرجُ الثَّامنُ: للضَّادِ المُعْجَمَةِ مِنْ أَوَّلِ حافةِ اللِّسانِ وما يليهِ من الأضراسِ من الجانبِ الأيْسَرِ عندَ الأكْثرينَ[٦١]، ومنَ الأيمنِ عندَ الأقلِّ [٦٢]. وكلامُ سيبويه (ت ١٨٠ هـ) يدل على أَنَّها تكونُ من الجانبين [٦٣].

وقالَ الخليلُ (ت ١٧٠ هـ): إنَّها أيضاً شَجْرِيةٌ [٦٤]، يعني منَ مخرجِ الثلاثةِ قبلها. والشَّجْرُ عندهُ مَفْرَجُ الفَم [٦٥]، أي مُفْتَتَحُهُ [٦٦]. وقالَ غيرُ الخليلِ: هو مَجْمَعُ اللِّحيْينِ عند العَنْفَقةِ [٦٧]، فلذلكَ لم تكن الضَّادُ منهُ [٦٨].

المخرجُ التَّاسِعُ: للامِ، من حافةِ اللسانِ [٦٩] من أدناها إلى منتهى طَرَفِه وما بينها وبينَ ما يليها من الحَنَكِ الأعلى مِمَّا فُوَيْقَ الضَّاحكِ والنَّابِ والرُّباعيةِ والثَّنيَّةِ [٧٠]. وفيه أيضاً [٧١]:

المخرجُ الرَّابعُ عَشَرَ: للظَّاءِ والذَّالِ والثَّاءِ [٧٢]، من بين طَرَفِ اللسانِ وأَطرافِ الثَّنايا العليا، ويُقالُ لها: اللِّثْويَّةُ، نِسْبَةً إلى اللِّثةِ [٧٣]، وهو اللحمُ المُركَّبُ فيه الأسنانُ [٧٤]. وفيهِ أيضاً [٧٥]:

والحَرْفُ المستطيلُ هو الضَّادُ، لأنَّه استطالَ عن الفم [٧٦] عند النُّطْقِ به حتى اتصلَ بمخرجِ اللامِ، وذلكَ لِمَا فيهِ من القوةِ بالجهْرِ [٢٨ / و] والإطباقِ والاستعلاءِ [٧٧]. وفيهِ أيضاً[٧٨]:

والضَّادُ والظَّاءُ اشتركا صِفةً جَهْراً ورخاوةً واستعلاءً وإطباقاً، وافترقا مخرجاً، وانفردتِ الضَّادُ بالاستطالةِ [٧٩]. وفيهِ أيضاً [٨٠]:

والضَّادُ انفردَ بالاستطالةِ، وليسَ في الحروفِ ما يَعْسُرُ على اللسانِ مثْلُه، فإنَّ ألسنةَ النَّاسِ فيهِ مختلفةٌ، وَقَلَّ مَنْ يحسنُه. فمنهم مَنْ يُخرجُه ظاءً، ومنهم مَنْ يُخْرِجُه طاءً [٨١]، ومنهم مَنْ يَمْزِجُه بالدَّالِ، ومنهم مَنْ يجْعلُه لاماً مفخمةً، ومنهم مَنْ يُشِمُّه الزَّاي، وكُلُّ ذلك لا يجوزُ. والحديثُ المشهورُ على الألسنةِ: ((أنا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بالضَّادِ)) [٨٢] لا أصلَ له، ولا يَصِحُّ [٨٣].

فَلْيُحْذَرْ مِن قَلْبِه إلى الظاءِ، لاسيما في ما يَشْتَبهُ بلفظِه، نحو: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ [الإسراء ٦٧] يَشْتَبِهُ بقولِه: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [النحل ٥٨]. وَلْيَعْمَلِ الرِّياضةَ في إحكامِ لفظِه خصوصاً إذا جاورهُ ظاءٌ، نحو: ﮋ ﮯ ﮰ ﮊ [الشرح ٣] ، ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [الفرقان ٢٧] ، أو حرفٌ مفخمٌ، نحو: ﮋ ﮒ ﮓ ﮊ [النساء ٩٧] ، أو حرفٌ يجانسُ ما يشبهُهُ، نحو: ﮋ □ □ ﮊ [آل عمران ٩١] ، وكذلكَ إذا سُكِّنَ وأتى بعده حرفُ إطباقٍ، نحو: ﮋﮕﮒ ﮊ

[البقرة ١٧٣] أو غيره، نحو: ژ ﭻ ژ [البقرة ١٩٨] ، ژ ﭞ ژ [التوبة ٦٩]، ژ □ □ ژ [الحجر ٨٨] و ژ ﮓ ﮔ ژ [الفيل ٢] . أ هـ [٨٤].

يقولُ جامِعُهُ [٨٥]: والأوفقُ مِمَّا تقدَّمَ من كلامِه في مخرجِ الضَّادِ لِلُغةِ أَهْلِ مِصرَ هو قولُ الخليلِ [٨٦]، وفي ذلكَ قُلْتُ: [من الرَّجَزِ]

١. الضَّادُ مِنْ وَسَطِ اللِّسانِ يُلْفَظُ
بـه، كَـمَا عَـنِ الخليلِ يُحْفَظُ

٢. يقولُ شَجْريٌ أي كجيمِ الشينِ يا
والشَّجْرُ مفتحُ الفمِ أحفظ مُثنيا

٣. فكانَ رابعَ الثَّلاثِ الخاليهْ
وَصَحَّ أَنْ يُعزى لوسْطٍ كَهيه [٨٧]

٤. وإنَّ نُطْقَ أَهْلِ مِصْرِنا على
وِفاقهِ، فَلْنَحْمَدِ الله عَلا [٨٨] [٢٨ و]

٥. وصِفْهُ بالإطباقِ والرِّخاوهْ
والجهْرِ والاستعلاءِ مع استطالهْ

٦. وطرَفُ اللسانِ قُلْ مع طَرفي
عُليا الثَّنايا مخرجُ الظا يا أُوخيْ

٧. ووصفُ ضادٍ كُلُّه في الظَّا يجي
لكنَّهُ لم يستطلْ في المخرجِ [٨٩]

٨. لذاكَ قالَ صاحِبُ المقدِّمةْ
في ما على قاريهِ أنْ يعْلَمَهْ [٩٠]

٩. والضَّادَ باستطالةٍ ومخرجِ
مَيِّزْ من الظَّاءِ، وكُلُّها تجي [٩١]

١٠. والصَّوتُ يجري في الحروفِ الرِّخْوةِ
وليسَ يجري معْ حروفِ الشِّدَّةِ

١١. كما بنشرِ الحافظِ ابنِ الجزري
إمامِنا قدوةِ أهلِ العصرِ [٩٢]

١٢. وشيخُ الإسلام يقولُ النَّفَسُ
لكنَّ قولَ الجزري الأنفسُ [٩٣]

١٣. وهو الموافقُ لأهلِ مِصْرِ
في نُطْقِهِم بالضَّادِ دونَ نُكْرِ [٩٤]

١٤. والاختبارُ شاهدٌ مُقرَّرُ
لِمَا ذكرنا لا يكادُ يُنكرُ

١٥. أفادَهُ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَا
المُتَوَلِّي حَامِداً مُمَجِّدا

١٦. دوماً لذي المَنِّ الكريمِ الهادي

لِنَهْجِ حُجَّةِ اللسانِ الضَّادي

تمتْ بِحَمْدِ اللهِ وحُسْنِ تَوْفيقِه
واللهُ أَعْلَمُ بالصَّوَابِ
وإليهِ المَرْجِعُ
والمَآبُ.
آمين.
*

هوامش الدراسة والتحقيق:

(١) ذكرها الزركلي في الأعلام باسم: رسالة في (الضاد والظاء). ينظر: الأعلام: ٦ / ٢١، وسيأتي الكلام عليها في مبحث توثيق نسبة الرسالة إلى المؤلف.

(٢) هذه الترجمة الموجزة مأخوذة مما ذكره الدكتور إبراهيم الدوسري في كتابه القيِّم الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات ينظر ص ٨١ وما بعدها وقد فصَّل الكلام على حياة الشيخ المتولي درسًا وبحثًا فجزاه الله خيرًا، وينظر في ترجمته وأخباره أيضا: هدية العارفين: ٢ / ١٥٤، ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٨١، والأعلام: ٦ / ٢١، والموسوعة الميسرة لتراجم أئمة اللغة والنحو والإقراء والتفسير: ٢ / ١٩٧٤، وينظر . نقلا عن الدكتور الدوسري في الإمام المتولي . الروض النضير في تحرير أوجه الكتاب المنير: ٦٥ . ٧٨.

(٣) الدرب الأحمر من الدروب القديمة، ولا يزال باقياً بهذا الاسم، للمزيد ينظر: الإمام المتولي للدوسري: ٨٢.

(٤) الإمام المتولي للدوسري: ٨١.

(٥) هكذا أثبته الدكتور الدوسري ينظر الإمام المتولي: ٨٢ – ٨٤.

(٦) ينظر: الإمام المتولي: ٨٢.

(٧) ينظر: في تفصيل الكلام على هذه الشهرة الإمام المتولي: ٨٥ – ٨٦.

(٨) ينظر: الإمام المتولي: ٨٨ – ٨٩. والروض النضير: ٦٦.

(٩) الإمام المتولي: ٨٩. والروض النضير: ٦٦.

(١٠) ينظر: الإمام المتولي: ٩١– ٩٢، والروض النضير: ٦٦ . ٦٧.

(١١) الإمام المتولي: ٩٢، والروض النضير: ٦٧.

(١٢) ينظر في تفصيل الكلام على شيوخ المتولي: الإمام المتولي: ١٠٠ . ١٠٤، والروض النضير: ٦٨ . ٦٩.

(١٣) ينظر: الإمام المتولي: ١٠٠ – ١٠١، والروض النضير: ٦٨.

(١٤) ينظر: الإمام المتولي: ١٠١ . ١٠٢، والروض النضير: ٦٨ . ٦٩.

(١٥) ينظر في تفصيل الكلام على تلاميذ الشيخ المتولي وأهم محطات حياتهم ومؤلفاتهم: الإمام المتولي: ١١٨ – ١٣٢، والروض النضير: ٧٠ – ٧٣.

(١٦) ينظر: الإمام المتولي: ١٣٠ . ١٣٢، والروض النضير: ٧٢ – ٧٣.

(١٧) ينظر: الإمام المتولي: ١٨١ . ٣٢٨، وفيها ثبت مؤلفات الإمام المتولي كلها، وذكر الدكتور الدوسري تفصيلا مجزيا عن جميع تلك المؤلفات حسب الموضوعات التي ألَّف فيها الشيخ، وذكر هذه المؤلفات – عن الدكتور الدوسري – محقق الروض النضير: ينظر: ٧٥ . ٧٧.

(١٨) ينظر: الروض النضير: ١٥٣.

(١٩) ينظر: الروض النضير: ١٧٨.

(٢٠) ينظر: الإمام المتولي: ٨٧، وفي تأريخ وفاته ينظر أيضًا هدية العارفين: ٢ / ١٥٤، ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٨١، والأعلام: ٦ / ٢١ ، والموسوعة الميسرة لتراجم أئمة اللغة والنحو والإقراء والتفسير: ٢ / ١٩٧٤، والروض النضير: ٦٦، وفي الكلام على مقبرة القرافة الكبرى جاء في الروض المعطار في خبر الأقطار: ٤٦٠ ((مدفن مشهور في البلاد المصرية يسكنه الناس ويعمرونه، وهي إحدى عجائب الدنيا بما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء عليهم السلام، وأهل البيت، والصحابة، والتابعين، والعلماء، والزهّاد، والأولياء...))، وينظر معجم البلدان: ٧ / ٢٦.

(٢١) ظاءات القرآن، للسرقوسي، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن: مقدمة المحقق: ٥.

(٢٢) ظاءات القرآن، مقدمة المحقق: ٥، وينظر: الفرق بين الضاد والظاء، الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين: ٣.

(٢٣) ينظر: الكتاب: ٤ / ١٢٨، ١٢٩، ٤٣٤، وسر صناعة الإعراب: ١ / ٢١٤ . ٢١٥، وظاءات القرآن، مقدمة المحقق: ٥.

(٢٤) ظاءات القرآن، مقدمة المحقق: ٥، وينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٢٧ . ٢٢٨.

(٢٥) ينظر قضية الضاد في العربية، بحث للدكتور غانم قدوري الحمد، مطبوع ضمن كتابه: أبحاث في علم التجويد: ١٤٦.

(٢٦) الكتاب: ٤ / ٤٣٣.

(٢٧) ينظر: قضية الضاد في العربية: ١٤٨.

(٢٨) ينظر تفصيل ذلك في: الكتاب: ٤ / ١٢٨، ١٢٩، ٤٣٤، ٤٣٦،٤٣٥ ، ٤٥٧، ٤٦٦.

(٢٩) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٦٦ – ٢٦٧، وقضية الضاد: ١٥٤.

(٣٠) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٦٦ – ٢٦٧، وقضية الضاد: ١٥٩.

(٣١) ينظر: قضية الضاد: ١٦٢.

(٣٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣١٧ .

(٣٣) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك، مقدمة المحقق الدكتور حاتم صالح الضامن مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣، مج ٣١، ص ٣٣٢، وينظر الكتاب نفسه مقدمة المحقق . بطبعته الجديدة . ص ٥ – ٦، وقد أعاد الدكتور حاتم صالح الضامن نشره مع فائت نظائر الظاء والضاد، ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء الصادرة عن دار البشائر، دمشق.

(٣٤) قضية الضاد: ١٦٢ . ١٦٣.

(٣٥) ينظر: قضية الضاد: ١٦١.

(٣٦) قضية الضاد: ١٦١.

(٣٧) نذكر منها . زيادة على ما مر ذكره .:

١- الضاد والظاء لابن سهيل النحوي (ت بعد سنة ٤٢٠ هـ)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

٢- الفرق بين الضاد والظاء، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

٣- الفرق بين الظاء والضاد، لأبي قاسم الزنجاني (ت ٤٧١ هـ)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

٤- معرفة الضاد والظاء للصقلي، لأبي الحسن الصقلي (توفي في آخر القرن الخامس الهجري)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

٥- المصباح في الفرق بين الضاد والظاء في القرآن العزيز نظما ونثرا، لأبي العباس الحراني (ت بعد سنة ٦١٨ هـ)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

٦- معرفة الفرق بين الضاد والظاء لابن الصابوني الأشبيلي (ت ٦٣٤ هـ)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

٧- غاية المراد في إخراج الضاد، لابن النجار (ت ٧٨٠ هـ)، حققه الدكتور طه محسن ونشره بمجلة المجمع العلمي العراقي.

٨- الفرق بين الضاد والظاء لأبي بكر الموصلي (ت ٧٩٧ هـ)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

٩- بغية المرتاد لتصحيح الضاد، لابن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤ هـ). حققه الدكتور محمد عبد الجبار المعيبد ونشره بمجلة المورد في بغداد.

١٠- كيفية أداء الضاد، لمحمد بن أبي بكر المرعشي (ت ١١٥٠ هـ)، حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية.

ويزاد على ما تقدم ذكره هذه الرسالة التي نحن بصدد تحقيقها ودراستها، ولمعرفة المزيد ينظر: مقدمة المحقق الدكتور حاتم صالح الضامن لكتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد)

لابن مالك، مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣، مج ٣١، ص ٣٣٢ – ٣٣٨، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد: ٣٨ . ٣٩.

(٣٨) ينظر: مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣١، ج٣، ص ٣٣٢ – ٣٣٨ .

(٣٩) ينظر: النص المحقق من هذا العمل.

(٤٠) ينظر: هامش رقم ٨٦ من هذا العمل.

(٤١) ينظر: هامش رقم ٨٦ من هذا العمل.

(٤٢) ينظر: قضية الضاد: ١٦٠.

(٤٣) ينظر: النص المحقق، الأبيات الثلاثة الأولى من المنظومة.

(٤٤) ينظر: النص المحقق، البيت الرابع من المنظومة.

(٤٥) ينظر: النص المحقق، البيت الخامس من المنظومة.

(٤٦) ينظر: النص المحقق، البيت السادس من المنظومة.

(٤٧) ينظر: النص المحقق، البيت السابع من المنظومة.

(٤٨) ينظر: النص المحقق، البيت الثاني عشر وما بعده من المنظومة.

(٤٩) ينظر: الأعلام: ٦ / ٢١.

(٥٠) ينظر: الإمام المتولي: ٣٠٠ – ٣٠٢.

(٥١) ينظر: الروض النضير: ٧٧.

(٥٢) ينظر: المخطوطة: ٢٧ و.

(٥٣) ينظر: المخطوطة: ٢٨ و.

(٥٤) ينظر – المخطوطة – ورقة عنوان المجموع الذي في آخره تقع الرسالة.

(٥٥) ينظر كذلك – المخطوطة – ورقة عنوان المجموع الذي في آخره تقع الرسالة.

(٥٦) الإمام ابن الجزري، رحمه الله تعالى، في كتابه: النشر في القراءات العشر: ١: ٢٠٠.

(٥٧) في الأصل: قبلها، والتصويب من النشر: ١ / ٢٠٠.

(٥٨) هو أبو العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي المقرئ، والمهدوي نسبة إلى المهدية بالقيروان، أخذ عن أبي الحسن القابسي، ومحمد بن سفيان الفقيه المالكي، وأحمد بن محمد القنطري، وغيرهم، وأخذ عنه أبو الوليد غانم بن وليد المالقي، وأبو عبد الله الطرفي المقرئ، وموسى بن سليمان اللخمي، وغيرهم. توفي بعد سنة (٤٣٠ هـ) من أبرز مؤلفاته: تفسير كبير سماه التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، والهداية في القراءات السبع، وغيرها. ينظر في ترجمته: معرفة القراء الكبار: ١ / ٣٩٩، وغاية النهاية: ١ / ٩٢، ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٧، والأعلام: ١ / ١٨٤.

(٥٩) النص في النشر ١ / ٢٠٠: (يليان).

(٦٠) النشر: ١ / ٢٠٠.

(٦١) النص في النشر ١/ ٢٠٠ (عند الأكثر).

(٦٢) ينظر: الكتاب: ٤ / ٤٣٢. وذكر سيبويه أن إخراج الضاد من الجانب الأيمن فيه تكلف وإخراجه من الجانب الأيسر أخف. وقال ابن الناظم في الحواشي المفهمة: ٥٤: ((الضاد مخرجها من إحدى حافتي اللسان وما يليها من الأضراس، ومن اليسرى أيسر وأكثر استعمالا، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالا))، وينظر: الحواشي الأزهرية: ٣٢، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٠٨.

(٦٣) ينظر: الكتاب: ٤ / ٤٣٣.

(٦٤) ينظر العين: ١ / ٥٨، وفيه: ((قال الليث: قال الخليل: فالعين والحاء والخاء والغين حلقية ؛ لان مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان ؛ لان مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية ؛ لأنَّ مبدأها من شجر الفم)).

(٦٥) ينظر: العين: ١/ ٥٨.

(٦٦) النص في النشر ١/ ٢٠٠: (أي مفتحه).

(٦٧) ينظر: لسان العرب (عنفق): ٩ / ٤٣٠. وفيه: ((العَنْفَقُ خفة الشيء وقلته، والعَنْفَقةُ: ما بين الشفة السفلى والذَّقَن منه لخفة شعرها، وقيل: العَنْفَقة: ما بين الذَّقَن وطرف الشفة السفلى كان عليها شعر أَو لم يكن، وقيل: العَنْفَقَةُ: ما نبت على الشفة السفلى من الشعر)).

(٦٨) النشر: ١ / ٢٠٠.

(٦٩) جاء في اللسان (حيف): ٣ / ٤٢٠: ((حافةُ كل شيء ناحِيَتُه... وحافتا اللسانِ: جانِباه)).

(٧٠) النشر: ١ / ٢٠٠.

(٧١) يعني في كتاب النشر أيضاً.

(٧٢) قال سيبويه: ((ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء)). (الكتاب: ٤ / ٤٣٣).

(٧٣) وصف لثوية أطلقه الخليل، وقال: ((الظاء والذال والثاء لثوية ؛ لأن مبدأها من اللثة)) العين: ١ / ٥٨، وقال الدكتور غانم قدوري الحمد في شرح المقدمة الجزرية: ٢٦٧: ((والراجح أنه لا علاقة للثة بنطق هذه الحروف، يعني: الظاء والذال والثاء، ويُشْكِل وصف الخليل لها بأنها لثوية، ولا يكفي في تعليله القول: لمجاورة مخرجا اللثة))، وساق الدكتور غانم قول المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) في جهد المقل: ١٣٥: ((وفيه مسامحة، وإنما يُنْسَبْنَ إلى اللثة ؛ لأنَّ النَّفسَ المصاحب لهذه الحروف ينتشر ويتصل باللثة)).

(٧٤) النشر: ١ / ٢٠١.

(٧٥) يعني: في كتاب النشر أيضاً.

(٧٦) النص في النشر ١/ ٢٠٥: (لأنه استطال عن الفهم)، وهو لا يستقيم مع المعنى، والصواب ما ورد في المخطوط الذي بين أيدينا.

(٧٧) النشر: ١ / ٢٠٥.

(٧٨) يعني: في كتاب النشر أيضاً.

(٧٩) النشر: ١ / ٢١٤.

(٨٠) يعني: في كتاب النشر أيضاً.

(٨١) قوله: (ومنهم مَنْ يُخْرِجُه طاءً) غير موجود في النشر، ينظر النشر: ١ / ٢١٩، ربما تكون هذه الجملة قد سقطت من النشر أثناء الطباعة، والله أعلم.

(٨٢) حديث: (أنا أفصح من نطق بالضاد) معناه صحيح، ولكنه لا أصل له بلفظه، ينظر: تفسير ابن كثير ١ / ١٤٣ وفيه: ((وأما حديث: (أنا أفصح من نطق بالضاد) فلا أصل له والله أعلم))، وفي الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: ٣٢٧: ((حديث: (أنا أفصح من نطق بالضاد) لا أصل له ومعناه صحيح))، وينظر: تلخيص الحبير: ٤ / ١٤، والجد الحثيث: ٥٧.

(٨٣) النشر: ١ / ٢١٩ – ٢٢٠.

(٨٤) النشر: ١ / ٢٢٠، وهنا انتهى نقل العلامة المتولي من كلام المحقق ابن الجزري، عليهما رحمة الله تعالى ورضوانه.

(٨٥) هو العلامة المتولي، رحمه الله تعالى.

(٨٦) وهذا اختيار من المؤلف، رحمه الله تعالى. وهو تمسك منه بالرواية المأخوذة من أفواه المشايخ، وهو ما يدعو إلى الالتزام به أستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد، في شرحه على المقدمة الجزرية، بعد أن عرض الفرق بين الضاد القديمة والضاد الحديثة مخرجاً وصفةً ووازن بينهما. ينظر: (شرح المقدمة الجزرية: ٣٢١).

(٨٧) ينظر هامش (٦٠) من هذا العمل.

(٨٨) ينظر: هامش (٨٦) من هذا العمل.

(٨٩) وصفة الاستطالة في الضاد غير متحققة في نطق أكثر قراء القرآن الكريم في زماننا بسبب ميلهم إلى نطقها شديدة من مخرج الدال والطاء والتاء. ينظر بحث الدكتور غانم قدوري الحمد في صفة الاستطالة للضاد في: شرح المقدمة الجزرية: ٣١٧ . ٣٢١.

(٩٠) هو العلامة المحقق ابن الجزري، رحمه الله تعالى، ومنظومته المسماة بـ (المقدمة في ما يجب على قارئه أن يعلمه) من أشهر منظومات ومؤلفات ابن الجزري في التجويد، وقد حظيت باهتمام الكثير من العلماء قديماً وحديثاً. وقد حققها الدكتور أيمن رشدي سويد، وحققها أيضاً الأستاذ الدكتور غانم قدوري حمد، وطبعها مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م.

(٩١) شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري الحمد: ١٤٤، البيت رقم (٥٢).

(٩٢) ينظر النشر: ١ / ٢٠٢.

(٩٣) خلاصة هذا البيت أن العلامة ابن الجزري، رحمه الله، يرى أن الصوت يجري مع الحروف الرخوة، ولا يجري مع الحروف الشديدة، كما صرَّح بذلك الناظم المتولي، رحمه الله، في البيت العاشر من هذه المنظومة. في حين يرى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٥ هـ) رحمه الله، أنَّ النفس هو الذي يجري أو لا يجري، وليس الصوت. ينظر: (الدقائق المحكمة: ١٢). ورجح الناظم هنا رأي ابن الجزري. والحقيقة أنَّ هذا الكلام ليس دقيقاً، وأنَّ خلطاً واضحاً بين الصوت المجهور والصوت الشديد قد حدث عند شراح المقدمة الجزرية، وانتقل هذا الخلط إلى المتأخرين.

ولأستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد، تحقيق مهم جداً في هذه المسألة رأينا أنَّ من المفيد ذكره في هذا الموضع، قال: ((وقد وقع بعض شراح المقدمة وبعض علماء التجويد المتأخرين في خلط بين تعريف المجهور والشديد، وبين المهموس والرخو، متأثرين بتعريف سيبويه لها، فالمجهور عند سيبويه : (منع النَّفَس أن يجري معه)، والشديد: (يمنع الصوت أن يجري فيه)، وقد اضطربت عبارتهم في تعريف الشديد والرخو، فجمع بعضهم بين النَّفَس والصوت في تعريفهما، فقالوا: الرخوة: جرى معها النَّفَس والصوت، والشديدة: انحبس الصوت والنفس معها، وذكر بعضهم النَّفَس وحده في تعريفهما، بينما استخدم سيبويه كلمة الصوت. ووقعت أكثر كتب علم التجويد تحت تأثير هذه التعريفات وما وقع فيها من خلط،...

فالمجهور: هو الصوت الذي يهتز الوتران عند النطق به،... والشديد: هو الصوت الذي ينتج بحبس النَّفَس في المخرج ثم إطلاقه. والرخو: هو الصوت الذي يضيق مجرى النَّفَس في مخرجه))، شرح المقدمة الجزرية: ٢٩٤ – ٢٩٥، ونرى من المفيد هنا أن نذكر كلاماً لطيفاً على النَّفَس الخارج من الإنسان فقد جاء في جهد المقل: ١٢٣: ((اعلم أن النَّفَس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان إن كان مسموعاً فهو صوت وإلاَّ فلا، والصوت إن اعتمد على مخرج محقق أو مقدر فهو حرف وإلاَّ فلا)).

(٩٤) فالحذاق من القراء المصريين اليوم يجعلون الضاد حرفاً شديداً، وهذا على الرغم من تصحيح المتولي له، إلا أنه لا يناسب الوصف العلمي للضاد. ينظر ما كتبه الدكتور غانم قدوري الحمد حول هذه القضية في: شرح المقدمة الجزرية: ٣١٩.

المصادر والمراجع:

(١) أبحاث في علم التجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٢ هـ. ٢٠٠٢م. بحث: قضية الضاد في العربية.

(٢) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣١، ج٣، بغداد ١٤٠٠ هـ. ١٩٨٠ م. وظهر الكتاب بحلته الجديدة مع فائت نظائر الظاء والضاد للمحقق الدكتور حاتم صالح الضامن، ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق،سورية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣ م.

(٣) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

(٤) الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات ١٢٤٨ – ١٣١٣ هـ ، الدكتور إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩.

(٦) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

(٧) الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، أحمد بن عبد الكريم الغزي العامري (ت ١١٤٣ هـ) تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، نشر دار ابن حزم.

(٨) جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زاده (ت ١١٥٠ هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ت ٢٠٠١ م.

(٩) الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية، الشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر الوقاد الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، تحقيق: محمد بركات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ١٤٢٠ هـ.

(١٠) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، ابن الناظم أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٥ هـ)، تحقيق: عمر عبد الرزاق معصراني، الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٢٦ هـ. ٢٠٠٦ م.

(١١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦ م.

(١٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، الدكتور حسام سعيد النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، طبع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، نشر دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠.

(١٣) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٤١١ هـ. ١٩٩٠ م.

(١٤) الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت،طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.

(١٥) الروض النضير في تحرير أوجه الكتاب المنير، للشيخ العلامة محمد المتولي، تحقيق ودراسة: الشيخ خالد حسن أبو الجود، القاهرة ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤ م.

(١٦) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني: تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(١٧) شرح المقدمة الجزرية، الدكتور غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ. ٢٠٠٨ م.

(١٨) ظاءات القرآن، للإمام أبي الربيع سليمان بن أبي القاسم التميمي السرقوسي (ت في آخر القرن السادس الهجري)، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ضمن سلسلة كتب الضاد والظاء، دار البشائر، دمشق سورية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣ م.

(١٩) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد ١٤٠٠ هـ. ١٩٨٠ م.

(٢٠) غاية النهاية في طبقات القراء، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، تحقيق: براجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢ م.

(٢١) الفرق بين الضاد والظاء، الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٨ م.

(٢٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧.

(٢٣) الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

(٢٤) لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ. ١٩٩٦ م.

(٢٥) معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ. ٢٠٠٨ م.

(٢٦) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، وضع عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

(٢٧) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٢٨) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرون، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، لندن، بريطانيا ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣م.

(٢٩) النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، أشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣٠) هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، إستانبول ١٩٥١ م.

تمت

بفضل الله تعالى وحمده